BAİD
Balıkesir İlahiyat Dergisi - Balıkesir Theology Journal

Araştırma Makalesi / Research Article
Geliş Tarihi / Date Received: 25.09.2022
Kabul Tarihi / Date Accepted: 20.12.2022

تَوظيفُ الأمثالِ في شِعرِ لِسانِ الدّينِ بنِ الخَطيبِ
دراسةٌ في الموروثِ الثقافيّ ومَضامِينِه الفكريّةِ

M. Rami Awwad*

ملخّص

اعتنى بحثُ توظيفِ الأمثالِ في شِعرِ لِسانِ الدّينِ بنِ الخَطيبِ في الآتي بدراسةِ عددٍ من الأمثال العربية المشهورة في التراث الفكريّ والثقافيّ العربيّ بوصفها أحد أهمّ مكوناته وذلك حسب ورود هذه الأمثال في ديوان الشاعر لسان الدين بن الخطيب لكونه واحدًا من أبرز شعراء العرب ومفكريه في الأندلس وللغنى الكبير الذي يكتنف ديوانه من جميع الجوانب ومن ضمنها جانب التّناص أو التضمين. وقد رصدت الدراسة أنماط توظيف ابن الخطيب لهذه الأمثال في شعره، ومدى استفادته من تلك الأمثال على مستوى البناء الفكريّ والفنّيّ والموسيقيّ لنصوصه الشعريّة، ثمّ خلصت هذه الدراسة في النهاية إلى جملة من النتائج من أهمّها براعة الشاعر في استحضار الأمثال المدروسة وحسن توظيفها على جميع المستويات، بالإضافة إلى عمق انتمائه إلى تراث أمته وتمسكه به.

الكلمات المفتاحيّة: الشِّعر، الموروث، الأمثال، التّوظيف، ابنُ الخَطيب.

LİSÂNÜDDÎN İBNÜ'L-HATÎB'İN ŞİİRİNDE ATASÖZLERİNİN KULLANIMI: KÜLTÜREL MİRAS VE MAZMUNLARI ÜZERİNE BİR ÇALIŞMA

Öz

Her millet, atalarından tevarüs ettikleri ilmi birikimle övünmektedir. Milletler genelde geçmişte kullanılan mazmunları, asaletlerini ve eski zamanlardan beri uygar olduklarını ifade etmek için ve geçmişe olan

* Dr. Öğr. Üyesi, Uşak Üniversitesi, İslami İlimler Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü, Arap Dili ve Belagatı Anabilim Dalı.
e-mail: muhammed.rami@usak.edu.tr, **ORCID**: https://orcid.org/0000-0002-5660-9857
Atıf/Citation: Awwad, M. Rami. "Lisânüddîn İbnü'l-Hatîb'in Şiirinde Atasözlerinin Kullanımı: Kültürel Miras ve Mazmunları Üzerine Bir Çalışma". *BAİD 16* (Aralık 2022), 357-379.

aidiyetlerinin kadim olduğunu göstermek için bugüne taşımaktadırlar. Bu çalışmamızda Endülüs Arap şiiri divanlarının en önemlilerinden sayılan divanında Lisânüddîn İbnü'l-Hatîb'in Arapçaya mahsus mazmunları şiirinde ne denli ustalıkla kullandığını ortaya koymaya çalışacağız. İbn el-Hatip'in şiirini incelediğimizde onun divanının her sayfasının ya dini ya edebi ya tarihi veya sosyal vs. bir veya daha fazla geleneksel bir mazmunu içerdiğini söylersek mübalağa etmiş olmayız. Bundan dolayı bu makale, İbn el-Hatip'in mensubu olduğu milletinin düşünce, edebiyat ve sosyal mirasına bağlı kaldığını, o geleneğe aidiyetini ve şiirinde bu geleneğin mazmunlarını büyük bir ustalıkla kullanabildiğini, kasidelerinde kullandığı meşhur bazı Arap atasözleri kapsamında ispatlamaya çalışacaktır.
Anahtar Kelimeler: Arap Dili ve Belagatı, Şiir, Miras, Atasözü, İbnü'l-Hatîb.

THE UTILIZATION OF PROVERBS IN IBN AL-KHATEEB'S POETRY: A STUDY IN THE CULTURAL HERITAGE AND ITS INTELLECTUAL CONTENTS

Abstract
People are proud of their ancestors' heritage and they often evoke its various contents in their present time as an expression of its originality, its dimension of civilisation and embodiment of the depth of its pertinence. Recalling that heritage becomes more beautiful, more accurate in aim, and more effective upon souls and in minds when it is approached by a famous poet and a creative intellect like Lisan Al -Deen Ibn Al Khateeb in his collection of poetry. This collection of poetry is considered one of the most important Arabic collections of poetry in Andalusia. It is not exaggerating when a researcher claims that each page in his collection of poetry contains more than one heritage implication whether it was religious, literary, historical, social or anything else. Based on what has been already presented, the following research will seek to demonstrate Ibn Al-Khateeb's adherence to his intellectual, literal and social heritage of his nation and his pertinence. It will also examine his ability of utilising the heritage implications in his poetry skilfully and through presenting some examples of popular Arabic proverbs which he recalled and utilised in his poems.
Keywords: Arabic Language and Retoric, Poetry, İnheritance, Proverbs, The utilization, Ibn al-Khateeb.

مقدمة البحث

تبوّأ ابن الخطيب مكانة مرموقة في سجلّات الأدب والنقد والتاريخ، وذلك بالنظر إلى شخصيته وعوامل تكوينها نفسيّاً واجتماعيّاً وفكريًّا، وقد قدّر الله له أن يعيش في فترة سياسية وتاريخية مهمّة بلغت فيها الحركة الفكريّة والأدبية في موطنه غرناطة ذروتها، وبرزت أسماء عديدة عاصرته كأستاذه ابن الجَيّاب (ت: 749هـ) وابن خاتِمة (ت: 770هـ) وابن زَمْرَك (ت: 793هـ)، إلا أنّه برّ الجميعَ حضوراً وعلماً وأدباً حتى وصفه البعضُ بأعظم شخصيّة ظهرت في الأندلس في القرن الثامن الهجريّ، فيما ذهب آخرون مذهباً أبعد من ذلك عندما وصفوه بأعظم شخصيّات الأندلس في ميادين الفكر والأدب والسياسة عامّة.[1] وقد حفل ديوانه بأغراض الشّعر المختلفة كالوصف والمديح والهجاء والغزل والرّثاء والتّهكّم والمداعبة والخمريات والزّهد والتّصوف والأخوانيات والحكمة، وغير ذلك[2]، واتّسم بسمات فنيّة ومعنويّة وفكريّة عدّة منها المبالغة والتّكرار والتّورية والتّجمُّل بمُصطلحاتِ العُلومِ والفُنونِ والألغازِ، وغير ذلك بالإضافة إلى التّضمين، إذ ضمّن شعره القرآن الكريم والحديث النبويّ والحكمة والأمثال[3]، فدلّ ذلك على ثقافته وسعة اطّلاعه وقدرته الفائقة على توظيف ذلك في شعره، كما دلّ على تمسّكه بالتّراث المعرفيّ والفكريّ لأمّته.

1 عنان، محمد عبد الله، *لسان الدين ابن الخطيب حياته وتراثه الفكريّ*. (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968)، 28.
2 *ديوان لسان الدين بن الخطيب*. تحقيق: محمد مفتاح. (الدّار البيضاء: دار الثقافة، 1989)، مقدمة المحقّق. 1/ 29-46.
3 المرجع نفسه، 47-52.

بالنظر إلى ما تقدّم فإنّ هذا البحث سيهتمّ، وفق آليات المنهج الوصفيّ، بجانب مهمّ من جوانب ذلك التضمين أو التّناص، وهو توظيفه الأمثال في شعره، تحت عنوان: توظيف الأمثال في شعر لسان الدين ابن الخطيب، وهو بحث مهمٌّ بلا شكّ لاعتبارات عدّة، منها ما يتعلّق بأهميّة التوظيف أو التناص في حقل الدراسات الأدبية والأسلوبية، إذ لا يخفى على أحد ما له من أهميّة كبيرة في "فهم المرجعيّة العلميّة الشعريّة وكشف الاتجاهات الثقافيّة والتاريخية وغيرها، والتي تمثّل وعي الشّاعر وإدراكه أثناء الإبداع"[4] ومنها ما له علاقة بطبيعة الأمثال العربيّة نفسها؛ فالخوض في موضوعاتها يؤنس النفس ويبعث فيها المتعة والمسرّة، علاوة على ما يعتريها من غنًى فكريٍّ ومعرفيٍّ وحضاريّ، ومنها ما له علاقة بابن الخطيب نفسه وما لمسناه في ديوانه من نضج أدبيٍّ كبير، جعله يحسن التصرف في استدعاء الأمثال وفي اختيارها ثم في توظيفها فنّياً وفِكريًّا بالشكل الأمثل في شعره، حاله كحال الفنان المبدع الذي يجمع الدرر المنسجمة بألوانها وأشكالها ليرصّع بها لوحة فنّيّة فسيفسائية ليخرجها للناظرين جَميلة متناسقة بهيّة، فتنمّ عن ذوق صاحبها وبراعته.

وعلى هذا فإنّ البحث سيحاول الإجابة عن ثلاثة أسئلة: أوّلها: كيفَ عبّر ابن الخطيب عن تمسّكه بالتراث الثقافيّ لأمته؟ وثانيها: كيف وظف ابن الخطيب الأمثال المشهورة في شعره بوصفها مكوّنًا أساسيًّا من مكوّنات ذلك التراث؟ وثالثها: هل نجح في ذلك التوظيف وفق ما حققه من نتائج؟

وفي الكلام على مجريات البحث فإنّه سيبدأ بمهاد نظريّ يعرّف بالشاعر وحياته وعصره كما يعرّف المثل لغة واصطلاحًا، ثم ينتقل إلى دراسة أنماط توظيف الأمثال في شعر ابن الخطيب فيقسمها إلى ثلاثة أقسام يتمّ تفصيلها لاحقا، ويدرس في كل قسم عددًا من الأمثال المشهورة في التراث العربيّ فيعرض فكرتها أو قصتها إن وُجدت ثمّ يشير إلى موضع هذا المثل في شعر ابن الخطيب ومزايا توظيفه والاستفادة منه، وأخيرًا يخلص البحث إلى أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة.

وتجدر الإشارة أخيرًا إلى أنّ هذا البحث سُبق بدراسات عدّة عنيت بدراسة الاقتباس أو التضمين أو التناص لدى ابن الخطيب هي حسب العلم:

- التّناص في نثر لسان الدين بن الخطيب، رسالة ماجستير في الدراسات الأدبية للباحث هشام محمد عبدالعزيز السيد بركات من كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، عام 2015، وهي دراسة عنيت بالنثر دون الشعر كما يتّضح في عنوانها.

- أثر الاقتباس والتضمين في شعر لسان الدين بن الخطيب، مقالة لفاطمة أحمد حمّاد وفرج منسي محمد نشرت في مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب في العدد 2018/27، وقد عنيت بدراسة الأمثال لديه في جانب صغير من الدراسة وبعدد محدود من الأمثال.

- تجليات المضامين التراثية في شعر لسان الدين بن الخطيب، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها للباحث كامل شهاب محمد الجبوري من كلية الآداب في جامعة آل البيت، عام 2016، وهو بحث عني بعموم التضمين في شعر ابن الخطيب إلا أنّه لم يخصص الجهد للبحث في دراسة الأمثال بل تناولها في جانب صغير منه.

1. مهاد نظريّ:

يعرّف البحث في الآتي بلسان الدين بن الخطيب باختصار، ثم نعرّف بالتّراث أو الموروث، وأخيراً نقف على مفهوم المثل في كُلٍّ من اللغة والاصطلاح.

---

[4] اختيار، أسامة، والرشيد، إياس، *التناص في شعر ابن حريق الأندلسيّ*. مجلة كلية الإلهيات في جامعة سيرت، 1/5، (2018): 35

1.1. لسان الدين بن الخطيب (713-776 هـ/1374-1313 م) في سطور:

محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن عليّ بن أحمد السّلمانيّ، أبو عبد الله الملقب بلسان الدين، القرطبيّ أصلاً، الغرناطيّ نشأة، المولود في مدينة (لوشة) في الخامس والعشرين من رجب سنة سبعمئة وثلاث عشرة للهجرة.

كانت نشأة ابن الخطيب في غرناطة، وهناك تأدّب على شيوخها آخذاً عنهم القرآن والفقه والتفسير، والحديث الشريف واللغة، والطبّ والفلسفة وغيرها، كما برع في الأدب ونظم الشّعر ففاق أقرانه غزارة في الكمّ، وجودة في السبك والنّظم.

عُرِف عنه تقرّبه من السلاطين ومكانته لديهم، فعينه سلطان غرناطة أبو الحجّاج يوسف بن إسماعيل (733-755 هـ) كاتباً خاصاً لديوانه سنة 733 هـ، ثم استوزره سنة 748 هـ، وبعد وفاة أبي الحجاج كان له حظوة كما كانت له حظوة عند ابنه محمّد الغنيّ بالله (755-793 هـ)، وفي أثناء ذلك نشأت بينه وبين أقرانه خصومات كثيرة، وصار عدد منهم يشي به إلى الغنيّ بالله، بعد اتّهامه بالعديد من التهم كالاستخفاف بالقيم الدينية وخيانة السلطان وغيرها؛ فخاف على نفسه أن يقبل السلطان وِشاياتهم، ما دفعه إلى الاتصال سرًّا بسلطان المغرب أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المرينيّ طالباً منه الحماية، فلقي منه حفاوة وترحيباً، واستقبله في تلمسان سنة 773 هـ، إثر ذلك اتّهمه قاضي غرناطة بالزندقة والإلحاد وغيرها من التّهم، فأُحرقتْ كُتُبه وصودرت أملاكُهُ، وطُلِبَ من سلطان المغرب أن يُسلّمه لتنفيذ الحُكم عليه، إلاّ أن السلطان رفض ذلك، لكن سرعان ما تغيّرت الظروف واشتدّت عليه، وذلك عندما مات سلطان المَغرب سنة 774 هـ، ما سهّل على سلطان غرناطة الظّفر به، فأودع السّجن وقُتِل فيه خنقاً ثمّ أُخرِجتْ جثّتُهُ من القبر فمُثّلَ بها، ثمّ أعيدت إليهِ من جديد، وذلك سنة 776هـ.

لُقّبَ ابنُ الخطيب بذي الوزارتين: القلم والسيف، وكذلك بذي العُمْرَين؛ لأنّه كان يشتغل بأمور وزارته نهاراً وبالتصنيف والعلوم ليلاً، إذ ما كان يلذّ له نومٌ ولا يطيب له رقاد بسببِ أرقٍ مستمرٍّ كان يعانيه، فخلّف أكثر من ستّينَ كتاباً في علوم مختلفة، منها (الإحاطة في تاريخ غرناطة)، و(نفاضة الجراب في أخبار الأندلس)، و(الكتيبة الكامنة في أدباء المئة الثامنة في الأندلس)، و(السّحر والشّعر)، ومجموعة من الرسائل عنوانها (ريحانة الكتاب)، وغير ذلك، بالإضافة إلى ديوان شعره،[5] ذلك الشعر الذي أوغل في عالم السياسة في عصره بكلّ ملابساته، واتّسمَ بأنّه ابن مجتمعه، وهو ما دعا البعض إلى القول: "إن قصائد ابن الخطيب تحوّلت إلى وثيقة تعكسُ الظروفَ السياسيةَ والاجتماعيةَ والأخلاقيةَ لعصره، وقد كان هذا مؤشرًا على أنه تعامل مع الأدب والسياسة معًا ولم يفصل بينهما".[6]

2.1. مفهوم المثل:

نعرض في الآتي لمفهوم المثل في كلٍّ من اللغة والاصطلاح:

---

[5] ابن الخطيب، لسان الدين، *كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*، تحقيق: ليفي بروفنسال. (بيروت: دار المكشوف، 1956)، 316-319، وابن حجر العسقلانيّ، *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*. تحقيق: محمد عبد المعيد ضان. (الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1972)، 5/ 213-217، والزركليّ، خير الدين، *الأعلام*. (بيروت: دار العلم للملايين، 2002)، 6/ 235-237، وأيضاً: Parlak, Nizamettin. *Lisanüddin İbnü'l Hatib'in Siyasi Kişiliği ve Tarihçiliği*, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2012), 52-55.

[6] Akay, *Lisânuddîn İbnu'l-Hatîb ve Arap Edebiyatındaki Yeri*, 175.

1.2.1. المَثَلُ لُغةً:

ورد في (كتاب العين) للخليل الفراهيديّ:

المَثَلُ: الشيءُ يُضرَبُ للشيء فيُجْعَل مِثْلَه. والمَثَلُ: الحديث نفسُه...، والمِثلُ: شِبْهُ الشيءِ في المِثال والقَدْر ونحوِه حتى في المعنى. ويقال: ما لهذا مَثيلٌ. والمِثالُ: ما جُعِلَ مقداراً لغيره...[7]

وورد في (الصّحاح) للجوهريّ:

مِثْلَ: كلمة تسوية، يقال: هذا مِثلُهُ ومَثَلهُ كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنًى.[8]

وجاء في (لسان العرب) لابن منظور:

قال ابن برّي: الفرق بين المُماثَلة والمُساواة أَن المُساواة تكون بين المختلِفين في الجِنْس والمتَّفقين لأَن التَّساوِي هو التكافُؤُ في المِقْدار لا يزيد ولا ينقُص وأَما المُماثَلة فلا تكون إِلا في المتفقين، تقول: نحوُه كنحوِه، وفقهُه كفقهِه، ولونُه كلونِه، وطعمُه كطعمِه، فإِذا قيل هو مِثْله على الإِطلاق فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه وإِذا قيل هو مِثْلُه في كذا فهو مُساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ.[9]

وبناء على ما تقدّم فإنّ مَثَل الشّيءِ ومِثله ومُماثِله هو شِبهه وشبيهه ومساويه ومُكافئه الذي يسدّ مسدّه.

2.2.1. المَثَلُ اصطلاحاً:

عرّفه الراغب الأصفهانيّ (ت. 502 هـ) بقوله: "المثل عبارة عن قول في شيءٍ يشبه قولاً في شيء آخرَ بينهما مشابهةٌ ليبينَ أحدُهما الآخرَ ويصورّهُ نحو قولهم: ((الصيف ضيعت اللبن))، فإنّ هذا القول يشبه قولك: ((أهملت وقت الإمكان أمرك))".[10]

وذكر الحسن بن مسعود (ت. 1102 هـ): "إنّ المثل هو قول يرد أولاً لسبب خاص، ثم يتعداه إلى أشباهه فيستعمل فيها شائعًا ذائعًا على وجه تشبيهها بالمورد الأوّل".[11]

وعرّفه نعمان متولّي على أنّه: "قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة ثم تردده الألسنة فيما يعنّ لهم من مناسبات مشابهة ليصيب الغرض منه كتهذيب السلوك أو بثّ قيمة بعينها طبقاً لفسفة المجتمع، وفي أحايين كثيرة يكون حلاً مبسطاً لبعض المشكلات التي يتعرّض لها النّاس"[12]

فالمثل في الاصطلاح، استئناساً بما تقدّم من آراء، هو قول موجز حسن التشبيه مشهور ذائع على ألسنة الناس، يستدعيه الإنسان في موقف حياتيّ مشابه مُكَنّياً به عن هذا الموقف بغية التنذّر أو التفريج عن النفس أو حلّ مشكلة ما أو غير ذلك.

---

7 الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، *كتاب العين*، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائيّ، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، مادّة: م ث ل.

8 الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، *الصّحاح ،تاج اللغة وصحاح العربيّة*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، 1987)، مادّة: م ث ل.

9 ابن منظور، جمال الدين، *لسان العرب*. (بيروت: دار صادر، 1414) مادّة: م ث ل.

10 الأصفهاني، أبو الفرج. *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق: دار القلم، 1412)، 759

11 ابن مسعود، الحسن، *زهر الأكم في الأمثال والحكم*. تحقيق محمد حجي، ومحمد الأخضر، (المغرب: الشركة الجديدة، دار الثقافة، 1981)، 21/1.

12 متولّي، نعمان عبد السميع. *الأمثال العربية بين الفصحى والعامّيّة*. (دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2015)، 7.

وقد ضربَ اللهُ تعالى الأمثال للناس في قرآنه الكريم، قال جلّ وعلا يصف المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: 17]، وقد كانت تلك الأمثال مُستقاةً من حياتهم وتجاربهم، ((ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنفُسِكُم)) [الرُّوم: 28]، وذلك لتكون أقرب إلى نفوسهم وأفهامهم، وليقدّم بها الدّليل والبرهان على ما أنزله عليهم، وذلك لما تتميّز به من قدرة على تجسيد الحقائق وكشفِ معالمها، وعدّ من يدرك كُنهها ويفهم مراميها عالماً، وفي ذلك قال الإمام الترمذيّ (ت. 320 هـ):

"ثمَّ اعْلَم بِأَنّ ضرب الْأَمْثَال لمن غَابَ عَن الْأَشْيَاء وخفيت عَلَيْهِ الْأَشْيَاء فالعباد يَحْتَاجُونَ إِلَى ضرب الْأَمْثَال لما خفيت عَلَيْهِم الْأَشْيَاء فَضرب الله لَهُم مثلا من عِنْد أنفسهم لَا من عِنْد نَفسه ليدركوا مَا غَابَ عَنْهُم...، فَمن تَدْبِير الله لِعِبَادِهِ أَن ضَرَبَ لَهُم الْأَمْثَال من أنفسهم لحاجتهم إِلَيْهَا ليعقلوا بهَا فيدركوا مَا غَابَ عَن أَبْصَارهم وأسماعهم الظَّاهِرَة فَمن عَقِلَ الْأَمْثَال سَمَّاهُ الله تَعَالَى فِي كِتَابه عَالمًا لقَوْله تَعَالَى: ﴿وَتلك الأمْثَالُ نَضرِبُها للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلهَا إِلَّا العالمُونَ﴾ [العنكبوت: 43]"[13]، وقد أورد النبيّ صلى الله عليه وسلّم الأمثال في أحاديثه الشريفة لغايات دعويّة وتعليمية آخذاً بمنهج القرآن الكريم في بسطه تلك الأمثال.[14]

ومعلوم أنّ الأمثال دارت على ألسنة العرب منذ الجاهليّة وعبّرت عن عاداتهم وتقاليدهم وعقليتهم وتفكيرهم أصدق تعبير، فكانت بحقٍّ مرآة لحياتهم الاجتماعية والسّياسيّة والعقليّة،[15]ولذلك ولغيره خرجت أمثال العرب بأقوى المضامين وأبهى الأشكال والصور، متّسمة بقوة الألفاظ وإيجازها، وبكثرة المعاني وسهولة تداولها، قال أبو هلال العسكريّ (ت. 395): "وَلما عرفتِ العَرَبُ أنّ الأمثال تتصرف في أكثر وُجُوه الكَلام وَتدخل في جُلّ أساليب القَول أخرجوها في أقواها من الأَلفَاظ ليخفّ استعمالُها ويسهل تداولها فهي من أجَلّ الكَلَام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلّة ألفاظها وَكَثْرَة مَعَانِيهَا ويسير مؤونتها على الْمُتَكَلّم مَعَ كَبِير عنايتها وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنَّها مَعَ إيجازها تعمل عملَ الإطنابِ"[16]

ولا شكّ في أنّ أهم ما يتميّز به المثلُ العربيُّ هو ما يزينه من ألوان البلاغة المختلفة، علاوة على ما في سبكه من إيجاز كبير وتكثيف فائق، يقول زيد بن رفاعة الهاشميّ (ت: بعد 400 هـ) في دوافع تأليفه كتاب (الأمثال): "فالإيجازُ في الكلام إذا صادف مواقعَه حِليةٌ، والتّشبيهُ إذا ورد مواضعَه زينةٌ، والتّعريضُ في كثيرٍ منهُ أبلغُ من التّصريح، والكِنايةُ في أماكنِها أوقَعُ من التّحقيق، ولمّا وجدتُ جميعَ هذه الخَلالِ مُجتمعاً في ما ضربتْهُ العَربُ من الأمثالِ، رأيتُ أنْ أجمعَ للراغبينَ في الأدبِ ما رويتُهُ عن أكابرِ السّلَفِ ، رحمهم الله، مجموعاً في تصانيفهم، ومُفرّقاً في أماليهم..."[17]

2. أنماط توظيف الأمثال في شِعرِ ابنِ الخَطيبِ:

أحصى محقّق الديوان محمّد مفتاح أربعين مثلاً في شعر ابن الخطيب، على أنّ من هذه الأمثال ما هو فصيح مشهورٌ، ومنها ما هو عاميّ أندلسيّ، ومنها ما هو لابن الخطيب صاغه في شعره بنفسه ثمّ انطلق مثلاً يدور على الألسنة من بعده؛ ، بناءً على ذلك فإنّ البحثَ لن يتناولَ الأمثالَ الشعبيةَ العاميّةَ الواردةَ في شِعرِ ابن الخطيب، وكذلك لن يتناول الأمثال التي ابتدعها ابن الخطيب بنفسه، إنّما

---

13 الترمذيّ، *الأمثال من الكتاب والسُّنّة*. تحقيق السيد الجميلي. (دمشق، دار ابن زيدون، د.ت)، 13.

14 شحاته، ياسر محمد، *الأمثال في السنة النبوية، دراسة تحليلية موضوعيّة*. (القاهرة: جامعة الأزهر، 2001)، 4-5.

15 خفاجيّ، محمد عبد المنعم، *الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ*. (بيروت، دار الجيل، د. ت.)، 148.

16 أبو هلال العسكريّ، *جمهرة الأمثال*، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، (بيروت: دار الجيل، ودار الفكر، 1988)، 1/ 4 - 5.

17 الهاشميّ، زيد بن رفاعة، *الأمثال*، تحقيق علي إبراهيم الكردي، (دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2003)، 3.

سيتناول توظيفه للأمثال الفصيحة المشهورة عند السلف، والتي تناولتها أمهات كتب اللغة والأدب؛ فالغاية من البحث هي دراسة الموروث الثقافيّ في المقام الأوّل.

أمّا عن طريقة عرض تلك الأمثال فستكون بذكر المثل وتوضيح معناه وفكرته وذكر قصته، إنْ وُجدت، وذلك بغية الوقوف على تفاصيل ذلك الجانب المهمّ من الموروث الذي استحضره الشاعرُ، والذي قام على أساسِه هذا البحث، ثم سيعمد البحث إلى تحديد موضع المثل في شعر ابن الخطيب وتبيان أثره وميزة توظيفه وجماليات ذلك التوظيف، على أنْ دراسة ذلك التوظيف ستنقسم وفق استفادة ابن الخطيب من هذه الأمثال إلى ثلاثة أنماط:

- توظيف الأمثال بلفظها ومعناها.

- توظيف الأمثال بمعناها وأكثر لفظِها.

- توظيف الأمثال بمعناه دون لفظِها. وفي الآتي تفصيل ذلك:

1.2. أمثالٌ وُظِّفتْ بلفظها ومعناها:

وظف ابن الخطيب جملة من الأمثال في شعره توظيفاً حرفياً بلفظها ومعناها دون أيّ تغيير وفي الآتي يعرض البحث عدداً منها:

1.1.2. أُخْبُرْ تَقلِهِ:

أي: "إِذَا خُبِّرْتَ بَدا لَكَ مِنْ أَكْثَرِهِم ما لَا تَرْضَى مِنهُم حَتّى تَقلِيَهُم"[18]، وهو مثل يُضرب لشخص لا تعرف عنه الكثير، ثمّ إذا جرّبته بدت لك مساوئُهُ[19].

وقد نَسَبَ البعضُ هذا المثلَ للصحابيّ الجليل أبي الدّرداء (ت: 32هـ)، فيما زعم البعضُ أنّه رُويَ عنِ النبيّ صلى الله عليه وسلم.[20]

وقد وظّف ابن الخطيب هذا المثل بلفظه ومعناه وذلك في سِياق حديثِهِ عن خِيانةِ الدَّهر وتقلّبِهِ على الإنسان، إذ قال من الكامل:

سَـلْني عَنِ الدَّهْرِ الخَؤُونِ، وأَهلِهِ ... تَسَلِ المهَلَّبَ[21] عَنْ حُروبِ شبيبِ[22]

مُتَقَلِّـبُ الحـالاتِ **فاخْبُرْ تَقلِـهِ** ... مَهمـا أَعـدْتَ يَـــداً إلى تَقلِيـــبِ

فَكِلِ الأمـورَ إذا اعْتَرَتـْكَ لرَبِّـها ... ما ضاقَ لُطْـفُ الرَّبِّ عن مَربوبِ[23]

---

18 أبو الشيخ الأصبهاني، *الأمثال في الحديث النبويّ*، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الثانية، الدار السلفية، الهند، 1987م، ص: 155.

19 الميداني، أبو الفضل، *مجمع الأمثال*، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، د. ت.) 162/1، و363/2.

20 أبو هلال العسكريّ، جمهرة الأمثال، 105/1.

21 المهلّب بن أبي صفرة (07 - 79 هـ)، القائد الأمويّ، والي البصرة لمصعب بن عمير، قاتل الأزارقة تسعة عشر عاماً وانتصر عليهم، وكان قد وُلّي على خراسان زمن عبد الملك بن مروان، وفيها مات. الزركلي خير الدين، *الأعلام*، 315/7 - 316 .

22 شبيب الخارجيّ (26 - 77 هـ)، وهو شبيب بن يَزيد بن نعيم بن قيس الشيباني، أبو الضحاك، خرج على الحجّاج في الموصل، ونادى بالخلافة فبايعه نحو مئة وعشرين شخصاً وكاد أن ينتصر عليه لولا أن أنجده عبد الملك بن مروان بجيش من الشام، إلا أنه مات غرقاً بعد ذلك بقليل، وذلك في سنة سبع وسبعين للهجرة. المرجع السابق، 3/ 156-157.

تظهر في هذه الأبيات نظرة ابن الخطيب إلى أهل زمانه وتقييمه السلبيّ لهم، فالخيانة طبعهم والتقلّب سِمَتهم، بل إنّه كلّما حاول التقرّب منهم بدت له سوءاتهم فعاداهم، ثمّ لا يجد إزاء ذلك إلا اللجوء إلى الله تعالى فهو الواسع اللطف بعباده.

ويتّضح من الأبيات السابقة أمرانِ اثنانِ؛ أولهما براعة استعانة ابن الخطيب بمكوّنات الموروث الثقافيّ والفكريّ، إذ استدعى ذلك المثل استدعاء حسنًا بشكل ينسجم مع بنية الأبيات شكلاً ومضمونًا، وثانيهما ذكاء استحضاره للأحداث التاريخيّة وشخوصها ودقّة استخدام رموزها وحسن توظيفها بما يخدم الأفكار والمعاني التي يرمي إليها.

2.1.2. قد حِيل بينَ العَيْرِ والنّزَوانِ:

فالعَيْرُ هو الحمار الأهليّ أو الوحشيّ[24]، والنَّزَوانُ الوَثْبُ، وهو مصدر الفعل نزا ينزو[25].

يُقال هذا المثل للرجل الذي يُحَال بَينه وَبَين مُرَاده[26]، وله قصة مشهورة تلخيصها في الآتي:

تذكر المصادر أنّ صخراً بن عمرٍو أخا الخنساء كان قد غزا بني أسد بن خزيمة، وسطا على إبلهم كلّها، فخرج له رجالها مُتصدّين له، وتلقّى طعنة بجنبه من رجلٍ يدعى أبا ثور الأسديّ، فجُرِح ومرض عاماً كاملاً، وملّه أهل بيته، وسمع امرأته سُليمى تصف حاله لجاراتها بقولها: لا حيٌّ فيُرجى، ولا ميّتٌ فيُنْعى، لقد ملّينا من الأمرين، ثمّ إنّه سمع حواراً بين سُليمى ورجلٍ غَريبٍ استفزّه، فقال لها ناوليني سيفي إلا أنّه لم يقدر عليه، فقال من الطويل وقد هدّه اليأس والحزن:

أرى أمَّ صَخْرٍ لا تَمَلُّ عِيَادَتِي ... وَمَلَّتْ سُلَيمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي

فأيّ امْرِئٍ ساوَى بأمِّ حَلِيلَةً ... فلا عاشَ إلاَّ في شَقًا وَهَوَانِ

أَهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ ... وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنَّزَوَانِ[27]

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيب بلفظه ومعناه في سياق قصيدة مطوّلة قدّمها للسلطان بمناسبة عيد الأضحى مُهنِّئاً ومادحاً، فقال من الكامل:

فَاضْرِبْ بِجَيْشِكَ مَا وَرَاءَ ثُغُورِهِمْ ... فَمِنَ المَلاَئِكِ دُونَهُ جَيْشَـانِ

لَمْ تَلْقَ مُجْتَمَعاً لِكُفْرٍ بَعْدَها ... **قَد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ وَالنَّزَوانِ**[28]

فهو في هذه الأبيات يطلب إلى السلطان أنْ يلاحق أعداء الإسلام ويضربهم داخل ثغورهم، ولا شكّ في أنّ المَلائكة ستحرس هذا الجيش، ولن تقومَ للكفر بعد ذلك قائمة، وقد وقف جيش المسلمين حائلاً بينه وبين نواياه (قد حيل بين العير والنزوان)، وواضح استفادته من هذا المثل في دعم غرض المديح الذي ينشده، وقد وظّفه ليثبّت الحكم الذي أطلقه، ويؤكّد مقتضاه.

3.1.2. سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تقشَّعُ:

أو عن قريبٍ هو مثلٌ يضرب عند العرب في انقضاء الشيء بسرعة.[29]

---

[23] ديوان ابن الخطيب، ص: 129.

[24] *لسان العرب*، مادّة: (ع ي ر).

[25] *المصدر نفسه*، مادة: (ن ز و).

[26] أبو هلال العسكري، *جمهرة الأمثال*، 1/ 372.

[27] الميدانيّ، *مجمع الأمثال*، 2/ 96، والعسكريّ، *جمهرة الأمثال*، 372/1.

[28] *ديوان ابن الخطيب*، 2/ 578.

والمثل وارد بلفظه ومعناه في شعر ابن الخطيب في مطلع تقليديّ لقصيدة يشكو فيها النّوى وبُعد الأحبّة إذ قال من الطويل:

نَوَوْا سَفَراً عنّي الغَداةَ وأزْمَعوا فيا لَيْتَ شِعْري بعْدَهُمْ كيفَ أصْنَعُ

ويا لائِمِي أكثَرْتَ في اللَّوْمِ فاتّئِدْ فهَذي رُقًى في عِلّتي ليْسَ تَنْفَعُ

لغَيْرِ جُفوني قُلْ إذا كُنْتَ قائِلاً **سَحابةُ صَيفٍ عَن قَريبٍ تقَشّعُ**[30]

فهُم عَقدوا العزم على الرحيل، وقد حار في أمره كيف يفعل من بعدهم، ثم طالب لائمه أن يكفّ عن لومه فهو لا يُجدي بشيء، وألاّ يواسيه بمقولة: ((سحابة صيف عن قريب تقشّع)) فهي لا تنفع تلك الجفون التي جفاها الرُّقاد بعد رحيلهم، وقد ساعد استحضاره هذا المثل في تكثيف الفكرة واستلهام المعاني الغزيرة بموجز الألفاظ، علاوة على ما في ذلك من جمال في التصوير.

5.1.2.استنوق الجمل:

أي صار الجَمَلُ كالنّاقة[31]، والمَثل يعود إلى الشاعر الجاهليّ طَرفة بنِ العَبدِ (ت: 596م)، إذ كان الأخير في حضرة أحد الملوك وكان المُتلمّسُ الضُّبَعيُّ (ت: 580م) يلقي الشعر هناك؛ فذكر[32]:

وَقَدْ أتَناسى الهَمَّ عِندَ احتضارِهِ بِناجٍ[33] عَليهِ الصَّيعَريّةُ[34] مُكدَمِ[35]

وبعد سماع ذلك أطلق طَرفةُ مقولته المشهورة (استنوقَ الجَمَلُ) للتعبير عن الخَلْطِ والتناقُضِ اللذين وقع فيهما المُتلمّسُ، إذ لا يجوز وَصفُ الجَمَلِ بالصّيعَريّة لأنّها صفةٌ خاصّة بالنّاقة، فصار قوله هذا مثلاً.[36] والقول وإنْ بدأ بالدلالة على الخَلط والتناقُض في الحُكم على الأمور والأشياء إلا أنّه تطوّر عند العرب ليقال في مقام الاستهزاء بالذّكر يتّسم بسمات الأنثى، ومن ذلك ما ورد في شعر الكُميت بن زيد الأسديّ (ت: 743م) في أبيات يهجو فيها أحدهم، إذ قال من الطويل:

هززتُـكم لو أنّ فيـكمْ مَهزّةً وذكّرْتُ ذا التأنيثِ فاستنوقَ الجملْ[37]

وفي ذلك أيضاً قال الرافعيّ في مقالة نقديّة بعنوان: (استنوق الجمل) يَلُومُ فيها شُبّانَ عصرِهِ من كتابِهِ وَحيُ القَلَمِ: "إنّ الجَمَلَ إذا استنوقَ تخنَّثَ ولانَ وخَضَعَ، ولكنه يُحمَلُ؛ وهؤلاءِ إذا استنوقوا تخنّثوا ولانوا وخَضَعُوا وأبَوْا أنْ يُحمَلوا"[38]

وقد ورد المثل المذكور بلفظه في شعر ابن الخطيب، وذلك في قصيدة سبق أن وردت في هذا البحث مدح خلالها أحدهم، إذ قال من البسيط على لسان إحدى النساء تحثّه على القتال:

قالت ألستَ شِهابَ الدّينِ تُضرِمُها؟ حاشا العُلا أن يُقالَ **استنوَقَ الجَمَلُ**[39]

---

29 الميداني، *مجمع الأمثال*، 1/ 344.

30 *ديوان ابن الخطيب*، 2/ 665.

31 *لسان العرب*، مادّة: (ن و ق).

32 الضُّبَعيّ، المُتلمّسُ، *الديوان*. تحقيق: حسن الصَّيرَفيّ، (القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1970)، 320.

33 يقال ناقة ناجية ونجاة أي سريعة، ولا تكون هذه الصفة للبعير، *لسان العرب*، مادّة: (ن ج و).

34 الصَّيْعَرِيَّةُ: سِمَة في عُنُقِ النَّاقَةِ خاصَّة (دون الجمل)، *لسان العرب*، مادّة: (ص ع ر).

35 المُكدَمُ: الغليظُ الصُّلبُ. *لسان العرب*، مادّة: (ك د م).

36 الميدانيّ، *مجمع الأمثال*، 93/2، وأبو هلال العسكري، *جمهرة الأمثال*، 55/1.

37 *ديوان الكميت بن زيد الأسدي*. تحقيق: محمد نبيل طريفي، (بيروت: دار صادر، 2000)، 252.

38 الرافعي، مصطفى صادق. *وحي القلم*، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000)، 187/1.

و هو يوظف ذلك المثل المشهور توظيفًا حسنًا وقد استدعى لفظه ليوجز من ورائه فكرته المشهورة، إذ لا يليق بمن أدرك الرفعةَ والشرفَ والسُّمعةَ الحَسنةَ أن يقال عنه: (استنوق الجَمَلُ)، أي لا يجدر برجل مثلك ذي قوة وبأس أن يقال عنه إنّه تباطأ عن قتال، ولا شكّ أن في ذلك تكثيفًا للمعنى يحترم عقل المتلقّي، بصورة تفتح الأفق أمامه لجتهد في إدراكها، وتتيح له المتعة في ذلك.

2.2. أمثال وُظّفت بمعناها وأكثر لفظِها:

أورد ابن الخطيب مجموعة من الأمثال في شعره تصرف بلفظها بحدود ضيقة تقديمًا أو تأخيراً أو حذفًا أو زيادةً، وذلك لغايات مختلفة تتصل ببنية الشعر الموسيقية والفكرية. يتناول البحث في الآتي عددًا من هذه الأمثال:

1.2.2. لا ناقةٌ لي في هذا ولا جَمَلُ:

وهو من المثل المشهور: ((لا ناقتي في هذا ولا جَمَلُ))، أو ((لا ناقتي فيها ولا جَملي))، وأصل المثل للحارث بن عُباد (ت: 50 ق. م)، وقد قال ذلك في حادثة قتلِ جسّاس بن مرّة كُليباً، رغبة منه بعدم التّدخّل بين الفريقين، ثمّ اعتزلهما حتّى قُتِل ابنه بُجَير. ويضرب هذا المثل عند التبري من الظلم والإساءة أو غير ذلك.[40]

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيب بمعناه وأكثر لفظه في مطلع قصيدة يمدح فيها أحدهم، إذ قال من البسيط:

لمّا رأتْ رايـــةَ القَيسِـــيِّ زاحـــفةً ... إليّ ريعَتْ وقالتْ لي وما العملُ؟

قُلتُ الوغى ليس من رأيي ولا عَمَلي ... **لا نـاقةٌ لي في هذا ولا جَمَلُ**[41]

وهو يذكر في هذين البيتين إحدى النساء وقد بدت مستنجدة به بعدما توجّستْ خطر الحرب قادمةً، قائلاً لها إنّه لا باع له في القتال ولا خبرة، ثمّ يستحضر ذلك المثل المشهور موظّفاً إيّاه توظيفاً موفّقاً في سياق التوكيد والبرهان وتثبيت الفكرة في ذهن المتلقي، ومن المعروف أنّ هذا المثل دائر على ألسنة العربِ إلى يومنا هذا.

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيب في موضع آخر مخاطباً الوالي أبا محمد بن بطّانٍ بعيد رحيله، إذ قال من البسيط:

لا نـــاقَةٌ ليَ فِي صَـــبْرِي وَلاَ جَـــمَلُ ... مِنْ بَعْدِ مَا ظَعَنَ الأَحْبَابُ وَاحْتَمَلُوا

قَالُوا اسْتَقَلُّوا بِعَيْنِ الْفِطْرِ قُلْتُ لَهُمْ ... مَا عَرَّسُـــوا بِسِـــوى قَلْبِي وَلاَ نَزَلُوا[42]

إنّه نفض اليد من ذلك الصبر الذي ما عاد يُجدي أو ينفع بعد أنْ غادر الأحباب المتمثلين بشخص الوالي أبي محمد، وهم وإن قيل إنّهم ابتعدوا إذ نزلوا بعين الفطر إلا أنّهم حقيقة ما نزلوا إلا بالقلب وما غادروه

وقد تصرّف ابن الخطيب ببراعة عندما استعار هذا المثل المشهور وقرنه بلفظة الصبر تعبيراً عن نفادِ هذا الصّبر، كما تصرّف بلفظ المثل ليلائم وزن البسيط.

---

39 ديوان ابن الخطيب، 518/2.

40 أبو هلال العسكريّ، جمهرة *الأمثال*، 2/ 391، والميداني، أبو الفضل، *مجمع الأمثال*، 2/ 220.

41 *ديوان ابن الخطيب*، تحقيق محمد مفتاح، 517/2.

42 ديوان ابن الخطيب، ص: 507.

2.2.2. مرآة الغَرِيبة:

وهو من المثل المعروف ((أنقى من مِرآةِ الغريبةِ))، أو أصفى، أو أوضح.

والغريبة هنا هي المرأة التي تتزوّج ثم تعيشُ بعيداً عن ديار أهلها، إذ تأخذ الحيطة في ألاّ يعيبها أحد فتعتني بمرآتها وتجلوها على الدوام لتظهر لها عيوب وجهها وخصوصاً أنّها في مكانٍ لا تجد فيه من يخلص النصيحة فيدلّها على تلك العيوب.[43] والمثل كما هو واضح يُضرب في شدة نَقاء الشيء وصفائه.

وقد أورد ابن الخطيب هذا المثل في شعره بمعناه وأكثر لفظه عندما وصف لَوحاً مَصقولاً، إذ قال من الوافر مُلغِزاً:

وأبيضَ من ذَوي الأَشْجارِ يَبدو لَـهُ خَـدٌّ **كمِرآةِ الغَرِيْـبَه**[44]

فهذا اللوحُ الأبيضُ المتَّخَذُ مِنْ خَشَبِ الشَّجَرِ ناعمٌ صَقيلٌ كأنّه خدُّ الغَريبة، ولا شكّ في أنّ استعانةَ ابن الخطيب بهذا المَثَلِ مكّنتهُ من أن يقدّم المعنى المراد بشيء من المبالغة الأدبيّة المحببة، هذا علاوة على ما في البيت من إلغازٍ تشويقيٍّ يخاطب عَقلَ المتلقّي ويحفِّزُ خَيالَهُ، ولعلّه عندما تصرّف بلفظِ المثلِ فحذف اسم التفضيل (أنقى) كان يرمي إلى غايتين اثنتين: أولهما موسيقيّة وقد أنزل المثل في البيت الشعريّ منزلاً مُلائمًا بشكل ينسجم مع وزن الوافر، وثانيهما فنّية بلاغيّة وقد اعتمد الإيجاز أداة لإثارة الفكر وتحريك ذهن المتلقي لاكتشاف المعنى المراد اتكاءً على الموروث الثقافي الراسخ في الذاكرة.

3.2.2. السّيفُ يَسبِقُ حَدَّهُ من يعذُلُ:

وهو من المثل المشهور ((سَبَقَ السَّيفُ العَذَل))، وللمثل قصّةٌ؛ ذلك أنّ رجلاً يُدعى ضبّة بن أدّ، وكان له ابنان أحدهما يدعى سعداً والآخر يدعى سعيداً، وكانا قد خرجا يطلبان إبلاً لأبيهما نفرت، فعاد سعدٌ بعد أن وجدها، إلاّ أنّ سعيداً لم يَعُدْ وطال غيابه، حتى خرج ضبّة رفقة رجل يدعى الحارث بن كعب في أحد الأشهر الحرم يبحثانِ عن سعيد، فمرّا بسرحة وهما يتحدثان، فذكر الحارثُ أنّه قابل شابّاً في هذا المكانِ وأخذَ بُردهُ وسيفَهُ، فذكرَ لضبّة أوصافَ سعيدٍ وكذلك أوصافَ بُردِهِ وسيفِهِ، ثمّ قال إنّه قتله، ثمّ أخرجَ السيفَ لضبّةَ فإذا هو فعلاً سيف سعيد، فقال ضبّةُ: إنّ الحديثَ ذو شجون، ثمّ ضَربَ الحارث انتقاماً لابنه فقتله، فلامه الناس لأنّه قتله في شهرٍ حرام، فقال لهم: سَبَقَ السَّيف العَذَل[45]، وصار قوله عند العرب مثلاً يُضرب، ومعناه: قد فَرَط من الفعل ما لا سَبيلَ إلى رَدّه[46].

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيب بلفظه ومعناه ضمن سياق قصيدة مطوّلة نظمها للسلطان وسمّاها ((المَنح الغريب في الفَتح القَريب))، إذ قال من الكامل:

تتلوَّنُ الدّنيا وتَختلِفُ المُنى والبُدُّ بُدٌّ ليس عَنهُ مَعدِلُ

ولربّنا الرُّجعى وإنْ طال المَدى واللهُ نِعمَ المُرتجى والمُؤمَلُ

---

43 الميدانيّ، *مجمع الأمثال*، 353/2، والزمخشريّ، *المستقصى في أمثال العرب*. (بيروت: دار الكتب العلميّة، 1987) 398/1.

44 *ديوان ابن الخطيب*، 139/1.

45 المفضّل الضبيّ، *أمثال العرب*. تحقيق: قصي الحسين. (بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1424 هـ)، 25، والميداني، مجمع *الأمثال*، 72/1.

46 أبو هلال العسكري، *جمهرة الأمثال*، 1/ 377.

لم يُبقِ ربُّكَ من عِداتِكَ مُعتَدٍ **والسّيفُ يسبِقُ حدُّهُ مَنْ يَعذِلُ**[47]

فقضاءُ اللهِ واقعٌ لا محالة مهما تَغيّرتِ الدُّنيا على الناسِ واختلفت أمنياتهم، والإياب إليه عزّ وجلّ ما تطاول الأجلُ بالإنسان وامتدّ به، فهو نِعمَ الوكيلُ ونِعمَ السّندُ، وهو الكفيلُ بأنّ يخلّصك من أعدائك، وسيفُ حُكمِهِ قادرٌ أن يُسكِتَ كُلَّ العاذلين.

وتجدر الإشارة هنا إلى براعة ابن الخطيب في استحضار ذلك المثل وحسن توظيفه شكلاً ومضموناً، وبصورة لا تشعر المتلقّي بأنّ الكلامَ واردٌ على الأبيات أو مُقحم عليها، إذ يلاحظ حسن استفادته من بلاغة الاستعارة التمثيلية وقد ربط بذكاء بين الفكرة المرادة من أبياته والمعنى المكثف للمثل المذكور، ولعل المتلقي العارف لقصّة ذلك المثل سيدرك المعنى الذي يرمي إليه ابن الخطيب بصورة أعمق، وبمتعة عند اكتشاف العلاقة بين المعنى المراد من الأبيات والقصة الراسخة في الذهن من الموروث؛ فأمر الله قاطع وحكمه في الأعداء واقع لا يردُّه أيٌّ كان، وهو ما وافق قصّة المثل إذ لم يغير كلامُ العاذلين من نتيجة حادثة قتل الحارث بعد أن وقعت. ومن ناحية الشكل يلاحظ حسن تصرّف ابن الخطيب ببنية نصّ هذا المثل وقد غيّر رصف كلماته وزاد عليها كلمتي (حدّه) و(مَنْ) بشكل يتماشى مع بنية الأبيات الموسيقية ووزن الكامل.

4.2.2. على الخَبيرِ سَقَطْتَ:

ذلك من المثل المعروف ((على الخَبيرِ سَقَطْتَ))، أي صادَفْتَ العالِمَ صاحبَ الخِبرةِ، أو سألت عن الأمر الخبير به.

وأصل المَثل لأحد حكماء العرب، واسمه مالك بن جبير العامريّ، ثمّ تمثّل به الفرزدق عندما قابل الحسين بن عليّ عليه السلام، وقد سأله عن أهل الكوفة فردّ الفرزدق قائلاً: " على الخبيرِ سقطتَ، قلوبُ الناسِ معكَ، وسيوفُهم مع بني أميةَ، والأمرُ ينزلُ منَ السّماء، فقال له الحُسين: صدقتني"[48]، ويُضرب هذا المثل عندما تقصد شخصاً خبيراً باستشارة أو سؤال وهو أهلٌ لما سألتَ عنه.

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيب بمعناه وأكثر لفظه، إذ قال من الوافر في التورية:

قَحَطْنا ثمّ صابَ الغَيثُ رُحمى فشُكراً يا حَمامُ إذا لَغَطْتا

ويا غَيثَ الرِّضى عنّا انْسِكاباً فأنتَ **على الخَبيرِ بِهِ سَقَطتا**[49]

فهو يُوظّف المَثلَ مُورّياً في سياقِ حديثِهِ عن هُطولِ الغيثِ بعد القحطِ والجفاف، شاكراً الحَمامَ الذي أطلق أصواته مبتهجاً بهذا العطاء، مشيراً إلى أنّ هذا الغيث قصد نشر الخير فلاقى مكاناً طيّباً مناسباً يليق ببهاء هطوله؛ وقد جاءت التورية لتصرف النظر عن المعنى الظاهريّ القريب لكلمة الخبير التي هي بمعنى النبات أو الزرع إلى المعنى الخفيّ المكثّف للمثل المذكور، ولا شكّ في أنّ هذا المعنى أعمق فكرًا وأشدّ إطلاقًا لخيال المتلقّي من ذاك المعنى الظاهريّ المباشر. أما موسيقيًّا فيلاحظ زيادة ابن الخطيب لفظة (به) على المثل بعد استدعائه إلى شعره وذلك لينسجم مع وزن الوافر.

---

47 ديوان ابن الخطيب، 2/ 502.

48 ابن سلام، محمد، *الأمثال*. تحقيق: عبد المجيد قطامش، (القاهرة: دار المأمون للتراث، 1980)، 206، والميداني، *مجمع الأمثال*، 2/ 24.

49 *ديوان ابن الخطيب*، تحقيق محمد مفتاح، 1/ 181.

5.2.2. هذا أوانُ الشَّدِّ في اللهِ فاشتَدّي:

هو من المثل العربيّ المشهور: هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتَدّي زِيَم، والشدّ هنا سرعة الجري، أما زِيَم فهو اسم فرس، ومعناه "هذا أوانُ الجري فاستفرغي فيه وسعكِ"[50]، وهو يقال في سياق حثّ النّاس على الجِدّ عند القيام بأمر، وقد تمثّل به الحجّاج بن يوسف الثقفيّ لمّا طلب من الناس أن يقاتلوا الخوارجَ.[51]

وقد ورد هذا المثل بلفظه (بإغفال كلمة زيم) ومعناه ضمن قصيدة طويلة أنشدها ابن الخطيب في حضرة السلطان بمناسبة عيد الأضحى، إذ قال من الطويل مُمتدِحاً:

وشِـمْتَ سُيوفَ الحقِّ واللهُ ناصِرٌ وجهّزْتَ قبلَ الجيْشِ جَيْشاً منَ السّعْدِ

وقُلْتَ لنَفْسِ العَزْمِ هُبّي وشَـمّري **وهَذا أوانُ الشَّـدِّ في اللهِ فاشْـتَدّي**[52]

فالسلطان استعدّ لمواجهة جيوش الكفر فأشهر سيوفه وجهّز جيشه، وهو بذلك أشاع السعادة بين الناس، ثمّ شحن نفوس جنوده قوة وبأساً ودفعها إلى ساحة الوغى فذاك هو الوقت المناسب لتثبت جدارتها في القتال.

إنّ استحضار ابن الخطيب لهذا المثل تماشى مع النمط الحماسيّ لقصيدته، وساهم في تكثيف الفكرة في عدد قليل من الكلمات، وساعد في تنويع أساليب عرضها، علاوة على أنّه استطاع أنْ يعطي هذا المثل الجاهليّ بعداً جديداً هو البعد الإسلاميّ، وذلك عندما ربط هذا الشدّ بالله تعالى، فهو شدّ إيمانيّ يتّكل على الله تعالى ويسعى إلى إرضائه عزّ وجلّ، ثمّ إنّه من ناحية الشكل أيضاً تصرّف ببنية المثل بشكل ينسجم ويتماشى مع وزن الطويل الذي بنى عليه شعره.

6.2.2. كم أخلَفَ الموعدَ عُرقوبُ:

وهو من المثل المعروف ((أَخلَفُ مِن عُرقوب))، وهو مثل مرتبطٌ بقصّةٍ مشهورة لدى العرب؛ وذلك أنّ رجلاً من يثربَ سأل آخرَ تمراً من نخيله، فقال له: إذا طَلعَتْ، حتّى إذا طَلعتْ قال له: إذا أبلَحَتْ[53]، حتّى إذا أبلحت قال له: إذا أَزهَتْ[54]، حتّى إذا أزهتْ قال له: إذا أَبسَرَتْ[55]، حتى إذا أَبسَرَتْ قال له: إذا أَرطَبَتْ[56]، حتّى إذا أرطبت قال له: إذا أَتْمَرَتْ[57]، وعندما أتمرت صرمها ليلاً وما أعطاه شيئاً، فصارت عند العرب مثلاً يُطلق على من يُخلف الوعد ولا يلتزم به فقالت: أخلف من عُرقوب، أو مواعيدُ عُرقوب[58]

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيب بمعناه وأكثر لفظه، إذ قال في رثاء صديقين مقرّبين له من بحر السّريع:

يا نَفْسُ لاَ تُصْغي إلى سَلْوَةٍ **كَمْ أَخْلَفَ المَوعِدَ عُرقُوبُ**

---

50 الهاشميّ، علي بن رفاعة، *كتاب الأمثال*، 265.

51 الميدانيّ، *مجمع الأمثال*، 2/ 391.

52 *ديوان ابن الخطيب*، 1/ 304.

53 أي: إذا صارت بلحاً.

54 أي صارت زَهواً، والزّهو: هو النخل إذا احمرّ ثمره أو اصفرّ، ابن منظور، *لسان العرب*، مادّة: (ز ه و).

55 أي: إذا صارت بُسْراً، والبُسْرُ الغَضُّ من كُلّ شيءٍ، وهو اسم يطلق على ثَمَرُ النّخيل قبلَ أن يصيرَ رُطَباً لغَضاضَتِهِ، والواحدة منه بُسْرة، ابن منظور، لسان العرب، مادة: (ب س ر).

56 أي: إذا صارت رُطَباً.

57 أي: إذا صارت تمراً.

58 الهاشميّ، علي بن رفاعة، *كتاب الأمثال*، 250، ومجمع *الأمثال*، 2/ 311.

رَأَيْـتَ يــا قَلبِيَ وَصَّــاكَ إِبـ راهيمُ بِالحُزنِ وَيَعقُوبُ[59]

فهو يَنهى نفسه عَن تصديق أنّ هناك شيئاً يسليها عن مصيبةِ فَقْدِ صديقينِ له، فمصدّق ذلك سيخيب كما خاب ذلك الرجل الذي صدق عرقوباً في المثل المشهور؛ بل هو يصرّ على التمسّك بالصبر على لأحزان تأسّياً بما أوصى به كلّ من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام.

وقد وظّف ابن الخطيب هذا المثل توظيفاً موفّقاً، إذ طرحه في سياق تشبيه ضمنيّ فكان المشبه حال إصغاء النفسِ إلى السلوةِ دون أمل أو جدوى والمشبه به حال إخلاف عرقوب موعده، فلم يصرح بطرفي التشبيه إنّما ضَمّنَ كلامَهُ إيّاه، وقد كانت الغاية من هذا التشبيه أن يقيم الحجّة والبرهان على ما طرحه من فكرة في صدر البيت الأوّل ذاته، فما وجد وسيلة أجدى وطريقة أقدر على الإقناع من استحضاره ذلك المثل المشهور الراسخ في أذهان الكثير من المتلقين، كما يلاحظ تصرّف ابن الخطيب ببنية المثل اللفظية لاعتبارين: أولهما معنويّ إذ أضاف كم الخبرية التكثيرية بغية المبالغة بالكثرة، وثانيهما موسيقيّ بغية أن يوافق التركيب الجديد وزن السريع.

7.2.2. كلُّ مَرعًى بعده غيرُ سَعدان:

ذاك من المثل العربيّ ((مَرعًى ولا كالسَّعْدانِ))، والسعدان نبت شوكيّ يشبه حَلَمة الثّدي يُعَدّ من أنجع مراعي الإبل وأطيبها ما دام رطباً[60]، ويرتبط المثل بامرئ القيس بن حجر الكنديّ، ذلك أنّه تزوجّ امرأة ثيّباً، فلم تتقبله، وتمنّعتْ عنه، ولم تُرِه من نفسها شيئاً، فقال لها مرّة: أين أنا من زوجك الذي كان قبلُ؟ فقالت له: مرعًى ولا كالسَّعدانِ، فصار قولها مثلاً[61]، ومعنى القول أنّك رضا لكنّك لستَ مِثلَ زوجي السابق[62].

وقد أورد ابن الخطيب هذا المثل بمعناه وأكثر لفظه خلال قصيدة طويلة رثى فيها ثلاثة من أصدقائه، وكان أحدهم يدعى أحمد، فقال من الطويل:

وَإِنْ ذُكِرَ الإِخوَانُ مَنْ مِثلُ أحمَدٍ ألا **كُلُّ مَرْعًى بَعْدَهُ غَيرُ سَعْدَانِ**

ذَخِيرَةَ أيَّامِي وَوُسْطَى قِلاَدَتي وَنُكْتَةُ إِخْلاصِي وَحِكمَةُ دِيوَانِي[63]

إنّ صديقه أحمد لا مثيل له، وكلّ مَن بقي بعده من الأصدقاء والإخوان لا يعدله (كُلُّ مَرْعًى بَعْدَهُ غَيرُ سَعْدَانِ)، وقد كان سنده في هذه الدنيا، وأغلى ما لديه فيها، وأفضل من أخلص إليه، وأعقل من تناوله بشعره، وقد استطاع ابن الخطيب أن يستفيد من المثل المذكور في دعم غرضه الشعريّ، وهو الرثاء، ففي سياق حديثه عن مناقب فقيده وقيمته العالية استحضر ذلك المثل موجزاً بوساطته فكرةَ أنْ لا صديق للشاعر يشبه صديقَه الراحلَ أحمدَ، كما يلاحظ تغييره للفظ المثل عند نقله إلى شعره ليلائم وزن الطويل.

8.2.2.وهل يخفى على النّاسِ النّهارُ؟:

مثل مشهور يُضرب للرجل المشتهرُ الذي يعرفه كُلّ الناس.[64]

---

59 ديوان ابن الخطيب، 1/ 144.

60 *لسان العرب*، مادّة: (س ع د).

61 المفضّل الضّبيّ، *أمثال العرب*، 85.

62 أبو هلال العسكريّ، *جمهرة الأمثال*، 2/ 242.

63 *ديوان ابن الخطيب*، 2/ 626.

64 الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 391/2.

وقد ورد هذا المثل في شعر ابن الخطيبِ بمعناه وتعديل على لفظه، إذ قال من الوافر مُرَحِّبًا بالشّيبِ الذي حلّ برأسه في شبابه:

تبلَّجَ في الشبيبةِ صُبحُ شَيبي فأدْبَرَ لَيلُها هَرَبًا ووَلّى[65]

ولم أستُرْ بُدُور الصُّبحِ جَهْلاً **وهل يَخفى الصّباحُ إذا تجلّى؟**

فبين سواد الليل وبياض الصبح وبدور الفجر ساق ابن الخطيب ذلك المثل ببراعة فنية فائقة وقد عمد عند توظيفه إلى لون مهمٍّ من ألوان البيان هو الاستعارة التصريحيّة، فسواد الليل هو شعره الأسود الذي فرّ هاربًا بعدما هاجمه بياضُ الصُّبحِ الذي هو المشيب، وهو ليس جاهلاً أنْ يعمد إلى الصِّباغ ليستر بُدورَ صُبحِهِ التي هي طلائعُ الشيبِ في رأسِهِ؛ ذلك أنّ الصُّبحَ إذا أشرقَ فإنّه لا يخفى على أحدٍ من الناظرين. وواضح أنّ ابن الخطيب ساق ذلك المثل ليكون برهانًا قويًّ الحُجّةِ لفكرته التي طرحها، وما أقواه من بُرهانٍ حينما يَتّصلُ بذلك الموروث الثقافيّ الذي اعتاده الناسُ سماعًا وتكرارًا، كما تلاحظ براعة ابن الخطيب من جهة الشكل إذ عمد إلى تطويع بنية المثل لينسجم مع وزن الوافر فغيّر في سبكه ما غيّرَ مع حفاظه على المعنى.

هذا بالنسبة للنمطين الأول والثاني، وقبل الانتقال إلى النمط الثالث لا بد من الإشارة إلى مسألة مهمّة تتعلق بآلية توظيف ابن الخطيب لهذه الأمثال بما يتناسب مع البنية الموسيقية الإيقاعيّة لأبياتِه، فهو في الوقت الذي أنزلَ الأمثالَ في شعره وفق النمط الأول دون تغيير على بنيتها اللفظية رأيناه يغير في ألفاظ تلك الأمثال ويطوّع فيها ما أمكن حتّى يتسنّى له أن يُنزلَها منزلاً مناسبًا من دون إخلال بالوزن أو الشكل العام للأبيات، ومثال الأول إنزاله: (قدْ حِيلَ بين العَيرِ والنَّزوانِ) عجزًا تامًّا في قصيدة من وزن الطويل، أو إنزاله (اخبُرْ تقلِهِ) دون تغيير على تركيبه اللفظي وذلك لملائمته وزن الكامل في صدر البيت (مُتَقَلِّبُ الحالاتِ فاخْبُرْ تَقلِهِ)، ومثال الثاني تعديله لفظ المثل: (مَرعًى ولا كالسَّعْدانِ) ليكون: (كُلُّ مَرْعًى بَعْدَهُ غَيرُ سَعْدَانِ) موائمةً لوزن الطويل.

3.2. أمثال وُظّفتْ بمعناها دون لفظها[66]:

إذ نستطيع أن نستنتج معاني هذه الأمثال من المضامين الفكريّة التي طرحها ابن الخطيب في سياق عدد من أبياته دون أن يصرّح بها تصريحاً لفظيّاً مباشراً، وفي الآتي سيدرس البحث عدداً منها:

1.3.2. مَنْ عزَّ بَزَّ:

يُنسَبُ هذا المثلُ للشاعر الجاهليّ عَبيد بنِ الأبرص، كما يُنسب لرجلٍ يُدعى جَابِر بن رألان إذ وفد على ملك الحيرة المُنْذر بن مَاء السَّمَاء فِي يَوْم بؤسه رفقةَ صاحبين لَهُ، وهو يومٌ يقتل فيه الملكُ أولَ من يفد عليه، لكنه لم يُرد أن يقتلهم جميعاً؛ فَطلب منهم أنْ يقترعوا واحداً من بينهم، فاستطاع جَابر أنْ يقرعهما، فخلّى المنذر سَبيله بينما قتلَ صاحِبَيهِ، فَقالَ جابر إثر ذلك: من عَزّ بَزّ، أي أنّ الغنيمةَ لمَنْ غَلَبَ، والهَزيمةَ لمَنْ ضَعُفَ.[67]

وقد أشارَ ابنُ الخطيبِ إلى مَعنى هذا المَثلِ في شعره دون أن يُصرّح بلفظه، وذلك في سياق قصيدة وجهها للسلطان وتعرض فيها لأعداء الإسلام إذ قال من الكامل:

---

[65] ورد البيت في الديوان مكسوراً، إذ أسقطت كلمة (هرباً) منه، ولدى العودة إلى كتاب السحر والشعر لابن الخطيب ذاته ضُبِطَ على هذا الشكل، ابن الخطيب، لسان الدين، كتاب السحر والشعر. تحقيق: كونتنته بيرير، (سورية: بدايات للطباعة والنشر، 2006)، 179.

[66] هذا النوع من تضمين الأمثال هو قليل أصلاً في ديوان ابن الخطيب لذلك اكتفى البحث بأربعة منه فقط.

[67] أبو هلال العسكري، *جمهرة الأمثال*، 288/2.

وَرَأَى عَدُوُّ اللهِ عُقْبَى غَـدْرِهِ وَالْخِزْيُ مِنْهُ مُعَـجَّلٌ وَمُؤَجَّـلُ
وَهُوَ الَّذِي مِنْ حَقِّـهِ أَلاَّ يُـرَى يُعْنَى اللِّسَـانُ بِذِكَرِهِ أَو يَحْـفِلُ
وَحَقَارَةُ الدُّنْيـا عَلَى اللهِ اقْتَضَتْ أَنْ يَثْأَرَ المُسْتَحْقَرُ المُسـتَرْذَلُ
هَذَا سُـلَيـمَانُ النَّبِـيُّ ابْتَـزَّهُ الكُرسِيَّ بَعْضُ الْجِنِّ فِيمَا يُنْقَلُ[68]

إنّ عدو الله غدر بسلطان الله فما كان منه إلا الخزي والعار، وهو أصغر من أن يرى أو ينشغل اللسان بذكره، لكنّ مشيئة الله اقتضت في هذه الدنيا الحقيرة الدنيّة أن يثأر الصغار الحقراء لأنفسهم، حالهم كحال بعض الجنّ الذين حاولوا النيلَ من النبيّ سليمان.

ومن جماليات تَوظيف فكرة هذا المثل ورودها طرفاً في تَشبيه ضِمنيّ، وقد وازى ابنُ الخطيبِ بين حالينِ، حال سلطان المسلمين وأعدائه، وحال النبيّ سليمان وبعضُ الجِنّ بقصد البرهان على الحال الأولى، ولعلّ ما يشير إلى استفادة ابن الخطيب من معنى هذا المثل أمران اثنان معًا: أوّلهما استعانته بالفعل (ابتزّ) الذي يَرِدُ مجرّده (برّ) في نصّ المثل المشهور، وثانيهما الفكرة العامة لكلٍّ من ذلك المثل وأبيات ابن الخطيب، ومفادها أنّه من الصعب أن ترى وضيعًا حقيرًا يريد النيل من كريم نبيل، فأعداء السلطان وبعض جنّ النبي سليمان من العُصاة ما أحسّوا بقوةِ جانبهم حتّى حاولوا النيل من سيدهما لقناعتهم بأنّ من عزّ بز ومن غلب كسب الغنيمة بغضّ النظر عن وضاعةِ أصلهم ودناءة حالهم مقابل شرف أسيادهم.

2.3.2. أشأمُ مِنْ أحمرِ عاد:

أحمر عاد لقب رجل اسمه قُدار بن سالف، وهو الذي عقر ناقة النبيّ صالح فأنزل الله بسبب فعله العذاب بأهله، والعرب كانت تسمّي ثمود عاداً الأخرى[69]، إذ طلب أهله من النبيّ صالح أن يُخرج من الصخرة ناقة وصفوها له، وذلك إثباتاً لصدق نبوّته، فأخرجها بإذن الله تعالى؛ فآمن بعضهم، وأنكر البعض الآخر، ثمّ قام قُدار بعقرها رغم التحذير الإلهي من أن يمسّوها بسوء، فنزل عذاب الله بهم[70].

وقد وظّف ابن الخطيب معنى هذا المثل في شعره بقوله: ((إذا لم تُعاجِلُوه قُدار))، مشيراً إلى ذلك الرجل الذي بنيت قصّة المثل حول شخصه، معبّراً عن ثقافة المُتَعمّق في أصول الموروث وجزئيّاته، إذ قال من الخفيف يهجو ابنَ كُماشة:

هدمَ السّـدَّ وهْوَ ما هُوَ، فـارُ كيفَ شَـــيْخٌ مُكـايِدٌ غَـدّارُ
إنّما المُلْكُ نـاقَةٌ وهوَ والْـ ـهِ إذا لم تُعـاجِـلوهُ قُـــدارُ
مِرْجَلٌ فـوقَ قِدْرَةِ الغَـدْرِ يَغْلي أُضْرِمَتْ تحْتَهُ منَ الشّـرِّ نـارُ[71]

فهو في معرض هجائه لهذا الرجل يُعبّر عن دراية عالية تتكئ على الموروث الثقافيّ والدينيّ، ثمّ يوظّف ذلك الموروث خير توظيف، فمهجوّه شخصٌ حقير بل هو واحد من تلك الفئران التي هدمت سدّ مأرب، أمّا المُلك فهو ناقةٌ، وإن لم يتنبّه القوم إلى ذلك الرجلِ ويعاجلوه قبل أن يُباغتهم فإنّه سيعقر تلك الناقة كما فعل قُدار بناقة صالح، أي سيقضي على المُلك، ذلك لأنّه غاية في الغدرِ.

---

68 *ديوان ابن الخطيب*، 2/ 503.
69 أبو هلال العسكري، *جمهرة الأمثال*، 1/ 558.
70 صفوت، أحمد زكي، *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، بيروت: المكتبة العلمية، د. ت.)، 352/2.
71 *ديوان ابن الخطيب*، 1/ 437.

3.3.2. ويلٌ للشجيّ من الخليّ:

الشّجيّ هو من شجاه الهمّ والحزن[72]، والخَليّ هو الخالي الفارغ من الهمّ[73]، والمثل ينسب إلى أكثمَ بنِ صَيفيّ، وله قصّة تلخيصها في الآتي:

عندما بدأ النبيّ صلى الله عليه وسلّم دعوته إلى الإسلام في مكّة، أرسل أكثمُ بنُ صيفيّ ابنه حُبيشاً إليها ليعاين ما كان عليه محمّدٌ (ص)، فلما رجع ابنه أخبره بأنّ محمّداً رجل صالح "يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها"، فجمع أكثمُ الناس وأخبرهم بما رآه حُبيشٌ، ودعاهم إلى اتّباع دين محمّدٍ عليه الصلاة والسلام، فانبرى له مالك بن نويرة اليربوعيّ قائلاً: خَرِفَ شيخُكم إنَّه ليدعوكم إلَى الفناء ويعرضكم للبلاء ...، فقالَ أَكثَم: "ويلٌ للشجيّ من الخليّ، يَا لهف نفسي على أمرٍ لم أدْركهُ وَلم يفُتني، ما آسى عَلَيْك بلْ على العَامَّة يا مالكُ ..."، ثمّ خرج أكثم إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام، فجهده العطش إلى أن مات بعدما أوصى من مَعَه باتِّبَاع النبيّ (ص) وأشهدهم أنه أسلم فَأنْزل الله فِيهِ ((وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يخرجْ من بَيته مُهَاجرًا إِلَى الله وَرَسُوله ثمَّ يُدْرِكهُ الْمَوْتُ فقد وَقعَ أجرُه على اللهِ وكانَ اللهُ غَفورًا رَحيمًا)) [النساء:100]، وصارت مقولته المذكورة بعد ذلك مثلاً يضرب لسوء مشاركة الرجلِ صاحبَه، إذ يلومه ويستهزئ به ليزيد بذلك من همّه وألمه.[74]

وقد أورد ابن الخطيب هذا المثل في شعره بمعناه لا بلفظه عندما قال: ((وهان على المرتاح ما لقي العاني))، وذلك في سياق قصيدة مطوّلة نظمها على البحر الطويل ورثى فيها ثلاثة من إخوانه، والقول السابق يعبّر عن معنى المثل المذكور بلا أدنى شكّ، فالمرتاح هو الخليّ، والعاني هو الشجيّ.

يقول ابن الخطيب:

يَقُولُونَ خَفّضْ بَعْضَ مَا بِكَ مِنْ جَوًى وَهـانَ عَلَى المُرْتـاح ما لَـقِيَ العـانِي

تَضِيـقُ عَلَيَّ الأَرْضُ وَهْيَ فَسـيحَةٌ كَما ضَاقَ فَوْقَ الْخِصْرِ مَعْقِدُ هِمْيَانِ[75]

فالنّاس يطلبون منه أنّ يتخفف من أحزانه، وذلك هيّن على الفارغ الخليّ إلا أنّه صعب على المُلتاع الشجيّ، ولشدّة حزنه فإنّ الأرض على اتساعها ضاقت عليه كما تضيق على الخصر ربطة كيس النقود. ومن الواضح أنّ ابن الخطيب وظّف فكرة هذا المثل ليبيّن حجم الضيق الذي حاق به، وليعبّرَ عن استنكارِه أسلوبَ الناس النمطيّ في النُّصح، ورفضِه هذا الشكلَ من المواساة.

4.3.2. إنَّ خَصْلتينِ خَيرُهما الكذبُ لخَصْلتا سُوءٍ:

سُمِع هذا المثل عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، ومضمونه أنّ الرجُلَ يكذب بُغية أنْ يعتذر من ذنبٍ اقترفه، وهو كذلك كالمثل المشهور: عُذره أشدُّ من جُرمِه.[76]

وقد وظّف ابن الخطيب هذا المثل في شعره بلفظه لا بمعناه، في معرض ردّه على أحدهم، إذ قال من الوافر:

وقد عارَضتَ عُذرَكَ باعترافٍ فَزِدتَ مَذَمَّةً تَسِمُ الطريقَهْ

---

72 لسان العرب، مادة: (ش ج و).

73 المصدر نفسه، مادة: (خ ل و).

74 أبو هلال العسكريّ، *جمهرة الأمثال*، 2/ 338-339، والميدانيّ، *مجمع الأمثال*، 2/ 367.

75 *ديوان ابن الخطيب*، 2/ 623.

76 ابن سلاّم، *الأمثال*، 1/ 46، والميدانيّ، *مجمع الأمثال*، 1/ 13.

وهل بعد اعترافٍ مِنْ نِزاعٍ وهل بعد افتصالٍ من وَثيقَهْ[77]

إنّ هذا الرجلَ أراد الاعتذار عن زلّته فجاء باعتراف أشدّ سوءًا مما اقترفه، فسدّ بذلك الاعتراف أبواب الرجاء كلَّها، فلا جدال ينفع بعد ذلك ولا وثائق.

من الواضح أن ابن الخطيب استفاد من فكرة المثل المذكور أيّ استفادة، على أنّه صاغ تلك الفكرة بأسلوب يتماهى مع شكل القصيدة وبنيتها الفكريّة، وإذا دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على ثقافة عالية، وقدرات فنيّة مميّزة، ولا شكّ في أنّنا نلمح معنى ذلك المثل ومؤدّاه بتصرف ذكيّ منه، وذلك أنّه ألمح إليه ولم يُصرّح به، فإذا بالإلماح أكثر جمالاً وأشدّ وقعاً في النّفسِ من التّصريح.

نتائج البحث:

بعد هذا العرض السريع الموجز للأمثال العربيّة الواردة في شعر ابن الخطيب، وبعد الوقوف على طبيعتها، وكيفية توظيفها، واستثمار معطياتها، خلص البحث إلى النتائج الآتية:

– وظّفَ ابنُ الخطيبِ جملة من الأمثال العربيّة في شعره، وذلك إمّا بإيرادها لفظيّاً بشكلٍ حرفيٍّ كما وردت عن السَّلف في الموروث أو بتصرّف ما لا يبتعد بها كثيراً عن الأصل، وإمّا بالإشارة إلى معناها دون لفظها، إذ يلمح القارئ معنى المثل ويفهم مضمونه بالنظر إلى ما ورد في السياق المعنويّ للأبيات.

– استطاع ابن الخطيب توظيف الأمثال ببراعة أسلوبيّة عالية سواء تلك الأمثال التي وظفها بلفظها ومعناه؛ إذ أنزلها في أبياته منزلاً حسناً ينسجم معها شكلاً ومضموناً؛ من ذلك توظيفه مَثَل (اخبر تقلِه) أو تلك الأمثال التي وظّفها بمعناها وأكثر لفظها؛ من ذلك مَثَلُ (وهل يخفى على النّاسِ النّهارُ)، أو تلك الأمثال التي وظفها بمعناها دون لفظها إذ رأيناه يُلمح إلى الفكرة إلماحاً ذكيًّا يفوق التصريح بها جمالاً وتأثيرًا في العقل والنفس، مثال ذلك مَثَلُ (ويلٌ للشجيّ من الخليّ).

– استفاد ابن الخطيب من الأمثال الموظّفة في تدعيم البنية الفكريّة لسياقاته الموضوعيّة المختلفة كالمديح، ومثاله مَثَلُ: (قَد حِيلَ بَينَ العَيْرِ وَالنَّزَوانِ)، والهجاء، ومثاله مَثَلُ: (**أشأمُ مِنْ أحمرِ عاد**)، والرّثاء، ومثاله: (كُلُّ مَرْعًى بَعْدَهُ غَيرُ سَعْدَانِ) والإلغاز، ومثاله:)مرآة الغريبة).

– نجح ابن الخطيب في تحقيق مرامٍ عديدة من توظيف الأمثال في شعره، منها: تقديم البرهان والحجّة على فكرةٍ ما أوردها، وتوكيد المعاني وترجيح مضامينها، واستنكار فكرة ما والاحتجاج على مضمونها، وخدمةً الغرض الشعريّ ودعم سياقاته الفكريّة، وتكثيف المعاني وإيجاز ألفاظها، وتنويع أساليب عرض الأفكار والمعاني.

– أظهر ابن الخطيب براعة فنيّة فائقة خلال عرضه تلك الأمثال، إذ قدّمها مشفوعة بألوان البلاغة العربيّة المختلفة كالتشبيه، مثاله: (كَمْ أَخْلَفَ المَوعِدَ عُرقُوبُ)، والاستعارة، ومثاله: (هل يَخفى الصّباحُ إذا تجلّى)، والتورية، ومثاله: (على الخَبيرِ بِهِ سَقَطتا).

– دلّ إصرار ابن الخطيب على توظيف تلك الأمثال في مواضع كثيرة من شعره على تمسكه بالمضامين الثقافية والاجتماعيّة والفكرية لتراث أمّته، وتمثّله هذا التراث بكلّ خُصوصياتِه وبأبسط تفاصيله وجُزئيّاته.

[77] *ديوان ابن الخطيب*، 2/ 703.

مصارد البحث ومراجعه:

اختيار، أسامة، والرشيد، إياس. *التناص في شعر ابن حريق الأندلسيّ*. مجلة كلية الإلهيات في جامعة سيرت، 1/5، (2018): 31-48.

الأصفهاني، الراغب. *المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي*، الطبعة الأولى. دمشق: دار القلم، 1412.

أكاي، فيجن. لسان الدين ابن الخطيب ومكانته في الأدب العربيّ، رسالة دكتوراه، جامعة أولوداغ، بورصة، 2022.

بارلاك، نظام الدين. *لسان الدين ابن الخطيب الشخصية السياسية والتاريخية*، الطبعة الأولى. أنقرة: منشورات الجمعية التاريخية التركية، 2012.

الترمذيّ. *الأمثال من الكتاب والسُّنّة*، تحقيق السيد الجميلي. دمشق: دار ابن زيدون، د. ت.

الجوهريّ. *الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة*، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

ابن حجر العسقلانيّ. *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الطبعة الثانية، الجزء الخامس، مجلس الهند: دائرة المعارف العثمانية، 1972.

حنفي، حسن. *التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم*، الطبعة الرابعة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992م.

ابن الخطيب، لسان الدين، *كتاب السحر والشعر*. تحقيق: كونتنته بيرير. سورية: بدايات للطباعة والنشر، 2006.

ابن الخطيب، لسان الدين، *كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام*، تحقيق: ليفي بروفنسال. الطبعة الثانية. بيروت: دار المكشوف، 1956م.

ابن الخطيب، لسان الدين. *الديوان*، تحقيق: محمد مفتاح. الدّار البيضاء: دار الثقافة، الطبعة الأولى، المجلّد الأوّل، 1989.

خفاجيّ، محمد عبد المنعم. *الحياة الأدبية في العصر الجاهليّ*، الطبعة الأولى. بيروت: دار الجيل، د. ت.

الرافعي، مصطفى صادق. *وحي القلم*، (بيروت: دار الكتب العلميّة، 2000)،

الزركلي خير الدين. *الأعلام*، الطبعة الخامسة عشرة، الجزء الثالث والسادس والسابع. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.

الزمخشريّ. *المستقصى في أمثال العرب*، الطبعة الثانية، الجزء الأوّل. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1987.

ابن زيد الأسدي، الكُميت. *الديوان*، تحقيق: محمد نبيل طريفي، (بيروت: دار صادر، 2000).

ابن سلاّم. *الأمثال*، تحقيق عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى. القاهرة: دار المأمون للتراث، 1980.

شحاته، ياسر محمد. *الأمثال في السنة النبوية (دراسة تحليلية موضوعيّة)*. القاهرة: جامعة الأزهر، 2001.

أبو الشيخ الأصبهاني. *الأمثال في الحديث النبويّ*، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الطبعة الثانية. الهند: الدار السلفية، 1987.

صفوت، أحمد زكي. *جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة*، الجزء الثاني. بيروت: المكتبة العلمية، د. ت.

الضُّبَعيّ، المُتلمِّسُ، *الديوان*. تحقيق: حسن الصَّيرَفيّ. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1970.

العسكريّ، أبو هلال. *جمهرة الأمثال*، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل، ودار الفكر، 1988.

عنان، محمد عبد الله. *لسان الدين ابن الخطيب (حياته وتراثه الفكريّ)*، الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1968.

الفراهيديّ. *كتاب العين*، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائيّ. بيروت: دار ومكتبة الهلال، د. ت.

متولّي، نعمان عبد السميع. *الأمثال العربية بين الفصحى والعاميّة*. (دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2015).

ابن مسعود، الحسن. *زهر الأكم في الأمثال والحكم*، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الطبعة الأولى، الجزء الأوّل. المغرب: الشركة الجديدة، دار الثقافة، 1981.

المفضّل الضبيّ. *أمثال العرب*، تحقيق قصي الحسين، الطبعة الأولى. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1424.

الميداني، أبو الفضل. *مجمع الأمثال*، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، والجزء الثاني. بيروت: دار المعرفة، د. ت.

الهاشميّ، زيد بن رفاعة. *الأمثال*، تحقيق: علي إبراهيم الكردي، الطبعة الأولى. دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.

Kaynakça

´Anân, Muhammed Abdullah. *Lisânuddîn İbnu'l-Hatîb (hayâtuh ve turâsuhu'l-fikrî).* I. Baskı. Kâhire: Mektebetu'l-Hancî, 1968.

Akay, Figen. *Lisânuddîn İbnu'l-Hatîb ve Arap Edebiyatındaki Yeri*. Bursa: Uludağ Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Doktora Tezi, 2022.

Cevherî. *es-Sihâh (Tâcu'l-luğa ve sihâhu'l-Arabiyye).* thk. Ahmed Abdulgaffûr Attâr. Beyrut: Dâru'l-İlim li'l-Melâyîn. 4. Baskı, 1987.

Dube'î, el-Mütelemmis. *ed-Dîvân.* thk. Hasan es-Sayrafî. Kahire: Ma'hadu'l-Mahtûtâti'l-Arabiyye, 1970.

Ebû Hilâl el-Askerî. *Cemheretu'l-emsâl.* thk. Muhammed Ebu'l-Fadl İbrâhîm-Abdulmecîd Kutâmış. 2. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Cîl ve Dâru'l-Fikr, 1988.

Ebu'ş-Şeyh el-Esbehânî. *el-Emsâl fi'l-hadîsi'n-nebevî*. thk. Abdulalî Abdulhamîd Hâmid. 2. Baskı. Hindistan: Dâru's-Selefiyye, 1987.

Ekhtiyar, Ousama - Eyass Alrashed. "İbn-i Harîk el-Endelüsî'nin Şiirinde Metinlerarasılık". *Siirt Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi* 5/1 (2018), 31-48.

Esfehânî, er-Rağıb, *el-Müfredât fî ğarîbi'l-Kur'an*. thk. Safvân Adnân ed-Dâvûdî, 1. basım, Dımaşk: Dâru'l-Kalem, 1412

Ferâhîdî. *Kitâbu'l-ayn*. thk. Mehdî el-Mahzûmî-İbrâhîm es-Sâmirrâî. Beyrut: Dâr ve Mektebetu'l-Hilâl, ts.

Hafâcî, Muhammed Abdulmun´im. *el-Hayâtu'l-edebiyye fi'l-asri'l-câhilî*. I. Baskı, Beyrut: Dâru'l-Cîl.

Hanefî, Hasan. *et-Turâs ve't-tecdîd (mevkifunâ mine't-turâsi'l-kadîm).* 4. Baskı. Beyrut: el-Muessesetu'l-Câmiîyye li'd-Dirâsât ve'n-Neşr ve't-Tevzî', 1992.

Hâşimî. Zeyd b. Rifâ´a, *el-Emsâl*. thk. Ali İbrâhîm el-Kurdî, I. Baskı. Dımaşk: Dâru Sa´duddîn li't-Tibâ´a ve'n-Neşr ve't-Tevzî´, 2003.

İbn Hacer el-Askalânî. *ed-Duraru'l-kâmine fi a'yâni'l-mieti's-sâmine*. thk. Muhammed Abdulmu'îd Dân. 2. Baskı. Hindistan: Dâiretu'l-Maârifu'l-Osmâniye, 1972.

İbn Mes´ûd, el-Hasan. *Zehru'l-ekem fi'l-emsâl ve'l-hikem*. thk. Muhammed Hacî-Muhammed el-Ehdar. 1. Baskı. eş-Şeriketu'l-Cedîde, Fas: Dâru's-Sekâfe, 1981.

İbn Sellâm. *el-Emsâl. thk. Abdulmecîd* Kutâmiş. 1. Baskı. Kâhire: Dâru'l-Me'mûn li't-Turâs, 1980.

İbn Zeyd el-Esedî, el-Kumeyt. *ed-Dîvân.* thk. Muhammed Nebîl Tarîfî. Beyrut: Dâru Sâdır, 2000.

İbnü'l-Hatîb, Lisânuddîn, *Kitâbu'l-a'lâm fi men bûyi'a kable'l-ihtilâm min mulûki'l-İslâm*. thk. Lîfî Brufinsâl. 2. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Mekşûf, 1956

İbnü'l-Hatîb, Lisânuddîn. *ed-Dîvân*. thk. Muhammed Miftâh. Dâru'l-Beydâ: Dâru's-Sekâfe. 1989.

İbnü'l-Hatîb, Lisânuddîn. *Kitâbu's-sihr ve'ş-şi'r*. thk. Kuntunte Bayrîr, Suriye: Bidâyât li't-Tibâe ve'n-Neşr, 2006

Meydânî, Ebu'l-Fadl. *Mecme´u'l-Emsâl*. thk. Muhammed Muhyiddîn Abdulhamîd. Beyrut: Dâru'l-Ma´rife.

Mufaddal ed-Dabbî. *Emsâlu'l-Arab*, thk. Kusay el-Hüseyn. 1. Baskı. Beyrut: Dâr ve Mektebetu'l-Hilâl, 1424.

Mutevellî, Nu'mân Abdussemî'. *el-Emsâlu'l-Arabiyye beyne'l-fushâ ve'l-âmmiyye.* Desûk: Dâru'l-İlim ve'l-Îmân li'n-Neşr ve't-Tevzî', 2015.

Parlak, Nizamettin. *Lisanüddin İbnü'l Hatib'in Siyasi Kişiliği ve Tarihçiliği*. 1. Baskı. Ankara: Türk Tarih Kurumu Yayınları, 2012.

Râfi'î, Mustafa Sadık. *Vahyu'l-kalem*. Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-İlmiyye, 2000.

Safvet, Ahmed Zekî. *Cemheretu hutebi'l-Arab fi usûri'l-*Arabiyyeti'z-*zâhire*. Beyrut: el-Mektebetu'l-İlmiyye, ts.

Şehâte, Yâsir Muhammed. *el-Emsâl fi's-sünneti'n-nebevî (dirâse tahlîliyye mevdûiyye).* Kâhire: Câmi´atu'l-Ezher, 2001.

Tirmizî. *el-Emsâl mine'l-kitâbi ve's-sünne*, thk. es-Seyyid el-Cemîlî. Dımaşk: Dâru İbn Zeydûn, ts.

Zemahşerî. *el*-Mustaksâ *fi emsâli'l-Arab*. 2. Baskı. Beyrut: Dâru'l-Kutubi'l-İlmiyye, 1987.

Ziriklî, Hayruddîn. *el-A´lâm.* 5. Baskı. Beyrut: Dâru'l-İlim Li'l-Melâyîn, 2002.

Araştırmacıların Katkı Oranı Beyanı/ Contribution of Authors

Araştırma tek bir yazar tarafından yürütülmüştür.

The research was conducted by a single author.

****

Çıkar Çatışması Beyanı / Conflict of Interest

Çalışma kapsamında herhangi bir kurum veya kişi ile çıkar çatışması bulunmamaktadır.

There is no conflict of interest with any institution or person within the scope of the study.

****

İntihal Politikası Beyanı / Plagiarism Policy

Bu makale iThenticate yazılımıyla taranmıştır. İntihal tespit edilmemiştir.

This article has been scanned by iThenticate. No plagiarism was detected.

****

Bilimsel Araştırma ve Yayın Etiği Beyanı / Scientific Research and Publication Ethics Statement

Bu çalışmada "Yükseköğretim Kurumları Bilimsel Araştırma ve Yayın Etiği Yönergesi" kapsamında uyulması belirtilen kurallara uyulmuştur.

In this study, the rules stated in the "Higher Education Institutions Scientific Research and Publication Ethics Directive" were followed

****